نحو تصوّر وظيفي لتعلّم وتعليم القيم في العلوم الاجتماعية

مولاي المصطفى البرجاوي ■

مقدمة

تعدُّ المدرسةُ اللبنةَ الأساس لتصريف موضوع التربية؛ إذ التربية في حدِّ ذاتها عملية قيمية أخلاقية. والمدرسة تظلُّ الفضاء الثاني بعد الأُسرة للتشبع بالقيم التربوية وتنميتها، خاصة وأنه ما من نسق مدرسي إلا ويحمل طابع المجتمع الذي أنتجه، وأنه ينظم وفق تصور الحيـاة الاجتماعية، وأجهزة الحيـاة الاقتصادية، والعلاقات الاجتماعية التي تحرّك ذلك المجتمع[1].

كما أن النسق المدرسـي له ارتباط وثيق بالقيم التربوية التي بدورها لهـا «ارتباط وثيق بثقافـة الأُمة ودينهـا وتراثها الفكري، ونموذجها الحضـاري، لذلك فأي خلـل تصاب بـه منظومة القيم سـينعكس خللاً في سـلوك أفرادهاً، واهتزازاً وضبابيـة في رؤيتها وتصورهـا للكون والحيـاة، وهذا بالفعـل ما تعانيه الأُمـة العربية والإسـلامية اليوم... فقد تحوّل الغزو الثقافـي ـ وما نجم عنه من

1 - Marcel Postic, (1990), la relation éducative, PUF, 4éme Edition, p.23.

■ أكاديمي في كلية علوم التربية، المغرب.

المنارة للاستشارات

تبعية وانبهار ـ وعولمة القيم الغربية، إلى مفارقة مَرَضية على مستوى السلوك والتصورات، حيث نجد الإنسان العربي والمسلم يتخبط في ازدواجية ثقافية وقيمية وسلوكية، فلا هو استطاع تذويب قيمه الأصيلة والقضاء عليها نهائياً في الوجدان والواقع، ولا هو التزم بالكامل بالقيم الغربية، وهذا ما انعكس سلباً على جميع مناحي حياته، بحيث أصبحنا نلاحظ الهوة الشاسعة بين واقعه وسلوكه»[1]. فأضحى مثل الغراب الذي أراد تقليد الحمامة فلا هو أتقن مشيتها ولا هو حافظ على مشيته!

كما أن «علم الإنسان الذي تحسُّ حقبتنا بالحاجة الماسة إليه لا ينطبق على ثقافة حفظية على تكيف دائم مع مجتمع يزداد تقنية وتقانة يوماً بعد يوم. إن هذا العلم يتناول مصير الإنسان في مجتمع إنساني؛ إنه يشمل الماضي بكل تأكيد؛ ولكنه يضم مستقبل الناس والعلاقات التي تربط بينهم»[2].

ولأهمية البعد القيمي جاء التأكيد على ما يسمى **التعليم الشامل** أو **التربية الشاملة** التي تركز على جميع جوانب شخصية الإنسان: الجسدية والروحية والثقافية والمعرفية... سُمي بالنسق القيمي الذي هو «عبارة عن مجموعة من قيم الفرد أو المجتمع مرتبة وفقاً لأولويتها على هيئة سلم تتدرج مكوناتها تبعاً لأهميتها»[3].

ولقد أدى هذا الاهتمام بهذا النموذج من التعليم إلى تخليق فلسفة جديدة للتعليم تهدف إلى تعميق الالتزام الأخلاقي عبر مسيرة التعليم المدرسي والجامعي. فنبتت أشكالٌ مختلفة من التعليم. نركز في هذه الدراسة على نمطين رئيسين[4]:

1 ـ محمد تهامي دكير، (صيف 1436هـ/2015م) القيم التربوية: محاولة الكشف والتأصيل، مجلة أبحاث ودراسات تربوية، العدد الأول، السنة الأولى، ص217 ـ 218.

2 ـ مادلين غروايتز، (1993)، منطق البحث في العلوم الاجتماعية، الكتاب الثاني، ترجمة سام عمار، مراجعة فاطمة الجيوشي، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، ص7.

3 ـ كاظم، محمد إبراهيم كاظم، (1970)، التطور القيمي وتنمية المجتمعات الريفية، المجلة الاجتماعية القومية، مجلد 7، العدد 3، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة، ص3.

4 ـ أحمد زايد، (2012)، التعليم وتأسيس منظومة القيم، مجلة التفاهم، العدد 36، السنة العاشرة، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط ـ سلطنة عُمان، ص 284 ـ 285.

المنارة للاستشارات

1) **التعليم الموجّه بالقيم:** وهو التعليم الذي يتجه في مضمونه وطرق تعليمه إلى غرس قيم الحب والتسامح والعدل وكل الفضائل النبيلة، سواء أكانت فضائل فردية أم وطنية أم إنسانية عامة. ولقد أصبح هذا النوع من التعليم أكثر قبولاً في العالم المعاصر تحت وطأة العولمة، وثقافة الاستهلاك، وانتشار الروح الفردية، والعنف، وانتشار الإرهاب، ومظاهر عدم التسامح بين الشعوب. ويميل التعليم الموجه بالقيم إلى التركيز على تكوين المناهج الدراسية في ضوء توجّه قيمي أخلاقي، وكذلك إلى تكوين مدرسين تكويناً أخلاقياً قيمياً وأخلاقياً، وتطوير أساليب تدريسية توجّه التلاميذ إلى قيم روحية وعملية، مثل حث التلاميذ على الإبداعات الأدبية والفنية، وتنمية صور التفاعل والتعاون بين التلاميذ.

2) **التعليم من أجل المواطنة:** وهو نمط خاص من التعليم لا يهدف بالضرورة إلى التركيز على نمط خاص من المواطن الصالح أو المواطن النشط؛ ولكنه يمكّن التلاميذ والطلاب من فهم مجتمعهم ووظائفه السياسية والاجتماعية والإسهام في تكوين مواطنين قادرين على المشاركة، واتخاذ القرارات السليمة، فيما يتعلّق بحياتهم أو العلاقة بمجتمعهم، والشعور بالمسؤولية تجاه النفس والآخرين والمجتمع. ويهدف هذا النوع من التعليم أيضاً إلى إكساب الوعي بالحقوق والواجبات، وبعبارةٍ سهلة أن يتحوّل الشخص الذي يتلقى هذا النوع من التعليم إلى مواطن فاعل ومشارك يتحلى بالثقة بالنفس والإسهام الإيجابي في المجتمع. ويمكن أن يقدم هذا النوع بشكلٍ غير مباشرٍ في مناهج التعليم المختلفة في المرحلة الجامعية وقبل الجامعية.

لقد أدى هذا الاهتمام بهذا النموذج من التعليم إلى تخليق فلسفة جديدة للتعليم تهدف إلى تعميق الالتزام الأخلاقي عبر مسيرة التعليم المدرسي والجامعي. فنبتت أشكالٌ مختلفة من التعليم.

الإشكالية:

إذا نظرنا جلياً إلى ما يطبع البيئة العالمية والمحلية، نجدها مغلّفة بما يصطلح عليه بأزمة القيم التربوية والأخلاقية، التي بلغت ذروة سنامها في الاستفحال:

المنارة للاستشارات

أ ـ على مستوى البيئة العالمية:

نسجل مشكلات قيمية تتمثل في:

- تفشّـــي النزاعات الدولية، وصولاً إلى الحروب الداخلية والإقليمية التي لا تراعي في الإنسانية إلّاً ولَا ذِمّةً، إذ بات دخانها يجتاح العالم ويعكر صفو حيـــاة الملايين من البشـــر؛ مما أســـهم في ظهـــور **لاجئين بيئيين** (Réfugiés environnementaux) نتيجة تدمير البيئة الطبيعية والمشيّدة.
- تهديد البيئة الطبيعية عن طريق الاستغلال المفرط لمواردها (التلوث، ارتفاع درجة الحرارة إلى درجة الغليان، الاحتباس الحراري...).
- تدهـــور القيـــم الروحية والإنســـانية من خـــلال الاعتـــداءات الصارخة والمتكررة على حقوق الانسان..
- انتشـــار الأفكار المتطرفة وتهديدها لقيم التسامح والتعايش داخل المجتمعات البيئية الواحدة ومتباينة الأديان والمعتقدات..

ب ـ على مستوى البيئة الإقليمية/المحلية:

- تناقض بين ما جاء في المنهاج الدراســـي الـــذي ركز على بيداغوجيا الكفايات والتربية على القيم، والممارســـة الصفية التي عجزت عن تصريفها ديداكتيكياً وبيداغوجياً.
- ضعف دور المدرسة والمؤسسات التعليمية عامة في غرس القيم لدى التلاميذ، وصار اهتمام المدرسين منصباً على تلقين المعارف وعلى الخلاص من المقررات في أقرب وقت.
- من المؤشرات المقلقة والدالة على الأزمة القيمية، انتقال ظواهر منحرفة إلى صفوف الأطفال والمراهقين، والتي أصبحت تنخر جسدها مظاهر شتى من الانحراف الأخلاقي: الجريمة (التشـــرميل باللغة الاعتباطية المغربية) ـ الإدمان على المخدرات ـ التحرش الجنسي ـ العنف المدرسي ـ الغش المدرسي.
- ظهـــور الانحراف الفكري الذي يفســـد المودة ويقـــود إلى تدمير القيم، ومنشأ ذلك مناهج تعليمية تقوم على القهر والتمييز والتسلط بدل

المنارة للاستشارات
ww

الاحترام والتكامل، ومناهج تعليمية تعتمد على الحفظ بدل إعادة صياغة المعرفة وإنتاجها.

أهمية التدريس بمدخل التربية على القيم:

لقد ازدادت أهمية دراسة القيم في العصر الحاضر المليء بالحوادث الاجتماعية والثورات العلمية والتكنولوجية الخارقة التي اتسع فتقها وأثرت في فعالية الإنسان والمجتمع فكراً وعملاً وسلوكاً.

لقد ازدادت أهمية دراسة القيم في العصر الحاضر المليء بالحوادث الاجتماعية والثورات العلمية والتكنولوجية الخارقة التي اتسع فتقها وأثرت في فعالية الإنسان والمجتمع فكراً وعملاً وسلوكاً.

وتأتي أهمية التدريس بمدخل التربية على القيم، لموقعها في البنية الثقافية والحضارية للمجتمع باعتبارها «رأس ماله وأساس أي إصلاح تربوي فيه، ولا تتحمّل المؤسسة التعليمية ـ ولا شك ـ مسؤولية التنشئة على القيم والمحافظة عليها، وإنما تتحمل أيضاً مسؤولية نشرها وتعميمها؛ لأن دور النظام التعليمي التربوي يكاد يكون الأكبر والأخطر في غرس القيم.

ومن المؤكد أن المتعلّم وإن كان يتزود بالمعارف، فإن ذلك لا يمكن أن يتم في حقيقة الأمر إلا في إطار من القيم تحدد سلوكه وتوجهاته في الحياة ونحو المجتمع، وتنظيم هذه القيم وضبطها. والقصد في تدريسها بجعلها هادفة، وذات بعد تكويني، ومن تمَّ، فإن تبني مدخل التدريس بالقيم يعد من أولى الأولويات لتحقيق الإصلاح[1]. ولله در الشاعر أحمد شوقي، إذ يقول:

إنما الأُمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

1 ـ زكية مازغ، (مارس 2009)، مقاربة مضامين وقيم الكتب المدرسية في ضوء التحولات التي يعرفها المجتمع المغربي، مجلة تربيتنا، العددان 7/6، تصدرها الجمعية المغربية لأساتذة التربية الإسلامية، ص 104.

المنارة للاستشارات

ويرجع سبب اهتمام علماء التربية بموضوع القيم، إلى أن هذه القيم تتصـــل اتصالاً مباشـــراً بالأهداف التي تســـعى التربية إلـــى تحقيقها في المتعلم، من حيث تقويم النظم التربوية في المجتمعات المختلفة بتقديم الخبرات الإنسانية والقيم والاتجاهات وأســـاليب الحياة إلى الأفراد عن طريق التنشئة الاجتماعية التي تركز على القيم مما يؤدي إلى التوافق في أنماط السلوك المختلفة[1].

لهذا تُعدُ مناهج المواد الاجتماعية بحكم طبيعتها أهم المواد الدراسية التصاقاً بالأهداف التربوية وأكثرها قرباً فيمـــا يتعلّق بتطور المجتمع من واقعه وآماله وتطلعاته وماضيه وحاضره ومســـتقبله، ولذلك فهي من أهم المواد الدراسية في مجال بناء الإنســـان، فإنْ كانت المواد الدراسية كلها تعمل على تحقيق الأهداف العامة للتربية، إلا أن المواد الاجتماعية بحكم طبيعتها والموضوعات التي تتناولها ونواحي النشـــاط المصاحب لها تقوم بدور متميز[2].

على ضوء ما سبق، يطرح الإشكال التالي: إلى أي حدٍّ ساهم المدخل القيمي والتربية على القيم التي جاءت بها الوثائق التربوية الرسمية ومواد العلوم الاجتماعية (التاريـــخ ـ الجغرافيا ـ التربية علـــى المواطنة...) في تنمية الاتجـــاه الإيجابـــي نحو البيئـــة والمجتمع ســـلوكاً وعمـــلاً وانتماء ومساهمة، أم إن هذه الوثائق بعيدة كل البعد عن الواقع تبعاً للإجراءات الديداكتيكية التـــي تركّز على الجوانب المعرفية والمنهجية على حســـاب الوجدانية والقيمية؟

قبل الغوص في تفكيـــك مفهوم القيم وهويتـــه المفاهيمية، وكيف وظفت القيم من قبل بعض البلدان في نظامها التربوي، للخروج بتعريف نتفق حوله، وآنذاك ندخل في صلب الموضوع.

1 ـ سيد أحمد طهطاوي (1996)، القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر، القاهرة، ص23.

2 ـ اللقاني أحمد حسين، وعودة أبو سنينة، (1986)، تخطيط المنهج وتطويره، الدار الأهلية، عمان، ص85.

المنارة للاستشارات

أولاً ـ إبستمولوجية القيم: البحث عن الهوية:

القيم مفهوم مطاطي وعائم الدلالة، إذ يختلف مفهومه وتعريفه باختلاف الموضوع والسياق والزمن والبيئة والاهتمام والمرجعية والخلفية التي تؤطره. كما أن الحديث عن القيم من حيث الماهية والمفهوم حديث قديم لقدم معانيه ومرادفاته، ومن حيث المصطلح والمفهوم، حديث جديد لجدة المفهوم من حيث الدلالة التي أعطيت له، وتتجدد فيه الاجتهادات لجدة التحديات والتأويلات والقراءات[1].

تُعدُ مناهج المواد الاجتماعية بحكم طبيعتها أهم المواد الدراسية التصاقاً بالأهداف التربوية وأكثرها قرباً فيما يتعلّق بتطور المجتمع من واقعه وآماله وتطلعاته وماضيه وحاضره ومستقبله.

وسعياً منا إلى تبديد هذا الغموض، وبعيداً عن السجالات المعرفية والإيديولوجية، نعرض للتعريف الإجرائي الذي يخدم دراستنا هاته. فهو: «مجموعة من الأحكام والمعايير الاجتماعية والمعتقدات والأنشطة والإرشادات السلوكية لضبط السلوك البشري ضمن مجموعة بشرية وتوجيهه؛ أي ما هو مرغوب فيه لذاته وما هو مرغوب عنه، والقيم متعددة التصنيفات فهناك: القيم المادية والمعنوية والقيم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والسياسية والبيئية والتربوية. كما تتعدد مصادر بث القيم؛ الأُسرة أو المدرسة أو المؤسسات الإعلامية... لكن تظل المدرسة من أبرز الأجهزة المؤسساتية التي فوّض لها المجتمع مهمة إشاعة القيم الإيجابية والإبداعية والنمائية والأخلاقية والحد من القيم السلبية. سعياً إلى إيجاد مواطن يساهم بفعالية وحب الانتماء للوطن والمجتمع».

عموماً، للقيم جوانب مرتبطة بالذات وأخرى جماعية، وتتضمن أفكاراً ومعتقدات وسلوكات فطرية ومكتسبة من البيئة المحلية (الأسرة، المجتمع...)، والكونية (الإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي...)، وقد تكون ذات طابع إيجابي أو سلبي... ومن ثمّ تحدد اتجاهاته ومواقفه.

1 ـ Rahma Bourquia, (2010), Les valeurs: changement social au MAROC, p. 105.

المنارة للاستشارات

ثانياً ـ الخطاب التربوي المغربي: التأصيل القيمي والإكراه العملي/ التطبيقي:

في هذا السياق نقف عند القيم التي جاءت بها الوثائق التربوية الرسمية، خاصة الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والكتاب الأبيض والرؤية الاستراتيجية للمجلس الأعلى للتربيـــة والتكوين والبحـــث العلمي، والتدابيـــر ذات الأولوية لتنزيل هذه الرؤية...

فالميثاق جاء بترسانة من القيم في مرتكزات ودعائم أساسية في المنظومة التربوية. وتتمثل هذه المرتكزات في مجموعة من الثوابت المتمثلة **بقيم العقيدة الإســـلامية وقيم الهوية الحضارية والثقافية وقيـــم المواطنة وقيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية:** في هذا الإطار، يشكّل الميثاق الوطني مدخلاً جديداً للتربية على حقوق الإنسان ليشكّل ذلك حداً للقطيعة الطويلة بين التعليم وقضية حقوق الإنسان.

هذا التعدد فـــي مجالات القيـــم (قيم العقيدة الإســـلامية، قيـــم الهوية والمواطنـــة، وقيم حقوق الإنســـان ومبادئهـــا الكونية...) يطرح مشـــكل تعدد المرجعيات تباينها الشـــديد، بل طمسها في إطار ما يُســـمى العولمة الغربية وهيمنتها وفرضها في المنهاج التعليمي. كما يطرح إشكال التداخل و«الخلاف» وليس الاختلاف الذي يثري وينمّي شخصية المتعلم، بل يجعله يعيش انفصاماً بين قيم تربوية إسلامية وبين قيم غربية[1]. الشيء الذي يدفعنا للتساؤل حول أهداف ومرجعية منظومة التربية والتكوين بالمغرب، هل هي مستقلة في حسم الخيارات الوطنية، أو تحت الضغوطات الدولية وإن ناقضت في بعض مقتضياتها المرجعيات الحضارية الوطنية.

ولعل هذا ما جعـــل منظومـــة القيم بالمدرســـة المغربيـــة تعاني صراع مرجعيات. وتســـعى إلى تكييف نظامها التربوي مع المتغيـــرات الدولية، بل وتلجأ إلى اعتماد صيغ عامـــة قابلة للتأويل والقـــراءات المتعددة، أو اعتماد

1 ـ محمد سالم بايشي، (2008)، منظومة القيم في البرامج التربوية المغربية، مجلة الفرقان، العدد 60، ص 55.

المنارة للاستشارات

مرجعيات متعددة حتى وإن كانت متناقضة في بعض منطلقاتها وأبعادها إرضاء لجميع الأطراف[1].

ونظراً للطابع الفضفاض الذي يميز القيم السابقة جاء الكتاب الأبيض؛ ليسطر مجموعة من الغايات، يتوخى نظام التربية والتكوين في المغرب تحقيقها، نذكر منها:

- ترسيخ الهوية المغربية الحضارية، والوعي بتنوع وتفاعل وتكامل روافدها.
- تكريس حب الوطن وتعزيز الرغبة في خدمته.
- تنمية الوعي بالواجبات والحقوق؛
- التربية على المواطنة وممارسة الديمقراطية.
- التشبع بروح الحوار والتسامح وقبول الاختلاف.
- ترسيخ قيم المعاصرة والحداثة.
- التمكّن من التواصل بمختلف أشكاله وأساليبه.
- تنمية القدرة على المشاركة الإيجابية في الشأن المحلي والوطني...[2].
- احترام البيئة الطبيعية والتعامل الإيجابي مع الثقافة الشعبية والموروث الثقافي والحضاري المغربي[3].

في هذا السياق نقف عند القيم التي جاءت بها الوثائق التربوية الرسمية، خاصة الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والكتاب الأبيض والرؤية الاستراتيجية للمجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي.

ورغم أن الوثائق التربوية السابقة ركزت على أهمية الجانب القيمي في المنظومة التربوية، إلا أن دار لقمان ما زالت على حالها في تفشي سلوكات

1 ـ امبارك بو عصب (2016)، تحولات منظومة القيم وصراع المرجعيات بالمدرسة المغربية، مجلة تحولات معاصرة، العدد 1، طبع طوب بريس، المغرب، ص 62 ـ 63.

2 ـ المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، الكتاب الأبيض، ط يونيو 2002، ج 1، لجان مراجعة المناهج التربوية المغربية للتعليم الابتدائي والثانوي الإعدادي والتأهيلي، ص 13.

3 ـ الكتاب الابيض، ص 7.

المنارة للاستشارات

انحرافية ومشـينة في المدرسـة المغربية. هنا وقف **المجلس الأعلى للتربية والتكوين والبحث العلمي** على تقييم الوضع التربوي في المغرب سـنة 2008، ثم شخّص وضعية التعليم بالمغرب بإنجاز تقييم لتطبيق الميثاق الوطني للتربية والتكوين؛ ليصدر ما سماه الرؤية الاستراتيجية للإصلاح 2015 ـ 2030: بعنوان: «من أجل مدرسـة الإنصاف والجودة والارتقاء». التي أكدت على جعل التربية على القيم الديمقراطية والمواطنة الفاعلة وفضائل السلوك المدني، والنهوض بالمساواة ومحاربة كل أشـكال التمييز، خياراً اسـتراتيجياً لا محيد عنه، يتم تصريفه على المستويات الأربعة التالية[1]:

- **مستوى النهج التربوي:** من خلال إدماج المقاربة القيمية والحقوقية، في صلب المناهـج والبرامج والوسـائط التعليمية، مع العمل على التجسـيد الفعلي، ثقافة وسـلوكاً، للقيم المتقاسـمة، والسـلوك المدني، والممارسـة الديمقراطية داخل البيئة المدرسية والجامعية والتكوينية...

- **مسـتوى البنيات التربوية والآليات المؤسسـاتية:** بتوفير فضاءات مدرسية من شأنها تجسـيد وتنمية الممارسـات الديمقراطية والمدنية داخل المؤسسـات التعليمية والتكوينية. وإحداث آليات لرصد وتتبع قضايا السلوك المدني داخل المدرسة وفي محيطها...

- **مستوى الفاعلين التربويين:** بإدماج تكوينات جديدة للفاعلين في مجال تدبير التربية على المواطنة وحقوق الإنسـان وتنمية الحـسّ المدني بعيداً عن الصيغ العقابية.

- **مستوى علاقة المؤسسة التربوية بالمحيط:** بإسهام المدرسة في مد الجسور مع المحيط الخارجي، التي تتشكّل من الفضاءات المرتبطة بمحيط المدرسـة، والتي ترتادها أعـداد كبيرة مـن التلاميذ والطلبـة: الداخليات والأحياء الجامعية، والمجمعات الرياضية، فضاءات البحث، مقاهي الإنترنت، شبكات التواصل الاجتماعي، المواقع الإلكترونية...

1 ـ المجلس الأعلى للتربية والتكوين، (2015)، مرجع سابق، ص 59.

المنارة للاستشارات

وبالرغم من هذه المستويات المتنوعة التي طرحها المجلس الأعلى، فإن نقل المدرسة للقيم تعترضه جملة من المثبطات التي تعيق التربية على القيم والوعي بها سلوكاً وممارسة من أبرزها:

- **الازدواجية بين قيم المدرسة والمجتمع:** إذ إن عجز المؤسسات الاجتماعية (الأُسرة، جمعيات المجتمع المدني..) عن أداء الدور الوظيفي المنوط بها في تنمية القيم لدى الطفل، جعلت المدرسة تخرِّج متعلمين همهم الأساس اجتياز الامتحانات الإشهادية بدل الجمع بين مكونات الشخصية الإنسانية (المكون المعرفي، الوجداني والسلوكي).

- **مشكلة التدبير الديداكتيكي للقيم:** إذ إن الخطاب التربوي في منهاجه الدراسي، يركّز على دمج القيم في العملية التعليمية ـ التعلمية، لكنها لم تصل بشكلٍ سليمٍ إلى قلب الفصول الدراسية وفضاءات المؤسسات التربوية، فالتدبير الديداكتيكي يقتصر فقط على الجوانب المعرفية والمهارية مع تغييب البُعد القيمي.

يرى «فيليب ميريو» أن واقعية وأهمية وصلاح أي نموذج تربوي أو بيداغوجي يقتضي تضافر ثلاثة عناصر متداخلة فيما بينها: بدءًا بصلاحية المشروع القيمي الذي يستوحى منه (المتعلم الذي نطمح إليه تكويناً وأخلاقاً).

- **إشكالية تقويم وقياس قيم المتعلّم:** فالأطر المرجعية للتقويم التربوي، لا يستحضر الجوانب القيمية، مما يجعل المتعلّم يركز على المعرفة والحفظ، من دون تمثل القيم التربوية والوعي بها سلوكاً وممارسة. بالإضافة إلى نقص أدوات القياس والتقييم والاختبار الكفيلة بتتبع الأثر على مستوى بناء السلوك والفعل، وتقويم مؤشرات الإنجاز.

من هنا يرى «فيليب ميريو» (Phillipe Meirieu)؛ أن واقعية وأهمية وصلاح أي نموذج تربوي أو بيداغوجي يقتضي تضافر ثلاثة عناصر متداخلة فيما بينها: بدءًا بصلاحية المشروع القيمي الذي يستوحى منه (المتعلم الذي نطمح إليه تكويناً وأخلاقاً)، ثانياً: الممارسة العملية والتطبيقية لهذه القيم، وأخيراً

المنارة للاستشارات

طريقة تنفيذ هذا المشـــروع القيمي (إحداث تغيير وتحـــول إيجابي في حياة المتعلم المدرسية واليومية والعملية)[1].

ثالثاً ـ نحو تفعيل ديداكتيكية القيم في العلوم الاجتماعية على ضوء المنهاج الدراسي الجديد:

تدريس العلوم الاجتماعية وترسيخ قيم المواطنة والمواطنة البيئية:

يتسع يوماً بعد يوم ميدان علم الجغرافيا، إذ تخطى البحث في أمور الحياة ومشـــاكل العصر المتعددة والمعقـــدة، وأصبح أكثر اتصالاً وإحساســـاً بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والمعيشي للسكان.

ولإعداد المتعلم ليكون مواطناً يتفاعل مع قضايا مجتمعه وأمته، أصبح اعتماد الجغرافيا على الدراســـات الاستشـــرافية (المســـتقبلية)، أمر في غاية الأهمية، وأصبح من شأن كل تدريس مســـتقبلي هادف أن «يحدد الميادين حيث لم يعد مسموحاً بالعمل الأعمى وغير الدقيق»، وأن يرســـخ لدى الأجيال الصاعدة منذ الصغر معنى مسؤولية الإنسان المجالية في وقوع تطور ذي اتجاه واحد، مدمِّر أو إيجابي... يجب على الجغرافيا أن تعمل على إعداد تلاميذ اليوم للعمل»[2].

إن مدرِّس العلـــوم الاجتماعية (التاريـــخ والجغرافيا والتربية علـــى المواطنة)، مطالب اليوم، بأن يساهم في إعداد المتعلمين وتدريبهم على العمل واتخاذ المبادرة لتكوين مواطنين قادرين على المشاركة الفعلية في مواجهة قضايا مجتمعهم المجالية الراهنة والمســـتقبلية. وتتعدد أمثلة مواضيع التدريس بهذا الصدد: قضايا الموارد المائية، مشـــاكل الســـكن، التلوث، التدبير الجماعي... من جراء تنامي الحاجات المجالية للأفراد والمجتمعات، وأحياناً من سوء تدبير الموارد الطبيعية.

وتتعدّد أشكال وأصناف المواطنة التي تسعى الجغرافيا لترسيخها، من أبرزها:

ويمكن تعزيز قيم المواطنة في معظـــم الأنظمة التربوية من خلال ثلاث زوايا للمواطنة:

1 ـ Phillipe Meirieu, (2002), Apprendre…oui, mais comment, 18éme édition, ESF éditeur, Paris.

2 ـ M. L. Debesse-arviset, (1975), la géographie à l'école, 2éme édition, PUF, p. 73.

المنارة للاستشارات

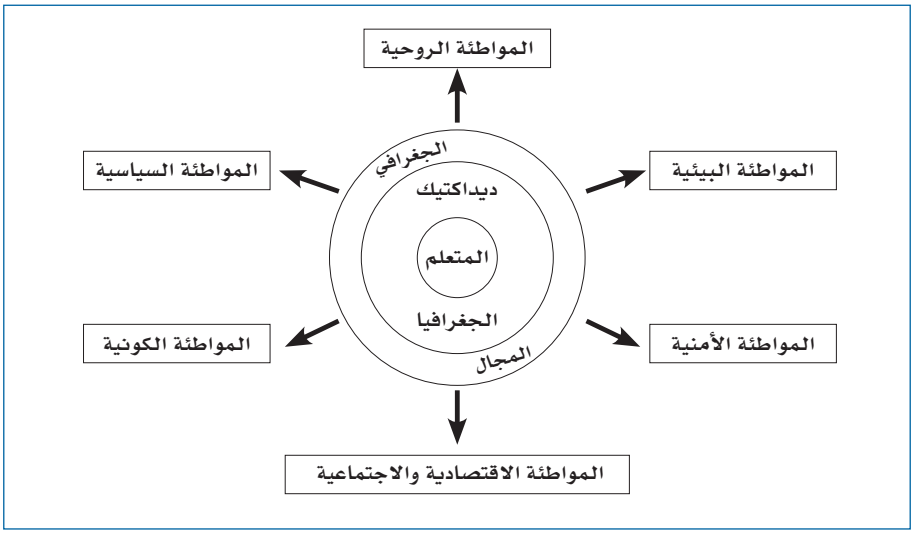

يتسع يوماً بعد يوم ميدان علم الجغرافيا، إذ تخطى البحث في أمور الحياة ومشاكل العصر المتعددة والمعقدة، وأصبح أكثر اتصالاً وإحساساً بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والمعيشي للسكان.

ـ **التربية عن المواطنة (Education à la citoyenneté)**: من خلال تزويد المتعلم بثقافة معرفية مواطنة وتاريخ النظام السياسي للبلد وقيم أساسية في مجالي حقوق الإنسان والمواطنة، ويكون بصور بيداغوجية مختلفة: التلقين، الحوار الأفقي والعمودي، تبادل الأدوار...

ـ **التربية من خلال المواطنة (L'éducation à travers la citoyenneté)**: وذلك عبر المشاركة المباشرة في الأنشطة التعليمية ـ التعلمية المختلفة سواء داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها.

ـ **التربية من أجل المواطنة (Education pour la citoyenneté)**: عن طريق بناء برامج وأنشطة مختلفة تراعي احتياجات كل متعلم ويكون التركيز هنا على الجوانب المهارية والوجدانية والمعرفية، بمعنى برامج شاملة لا تقتصر على جانب محدد[1].

1 ـ المعمري، سيف، (2006)، تربية المواطنة: توجهات وتجارب عالمية في إعداد المواطن الصالح، عمان، مكتبة الجيل الواعد، بتصرف.

المنارة للاستشارات

1 ـ العلـوم الاجتماعيـة وتدريـس القيـم البيئيـة: مـن الأهـداف إلـى المعايير: ما الذي تغير؟

تعرف القيمة البيئية بأنها «الموقف الذي يتخذه الفرد تجاه بيئته من حيث استشعاره مشكلاتها أو عدم استشعاره، ومن ثم استعداده للمساهمة في حل هـذه المشـكلات وتطوير ظـروف البيئة نحو الأفضـل، أو عدم اسـتعداده. وكذلك موقفه من اسـتغلال الموارد الطبيعية في هذه البيئة استغلالاً راشداً أو جائراً، وفق المعتقدات السائدة رفضاً أو قبولاً، إيجاباً أو سلبا»[1].

على ضوء التعريف السابق قسّم الباحث عصام الدين هلال[2] القيم البيئية إلى نسق قيمي مكوّن من القيم التي نعرضها على الشكل الآتي:

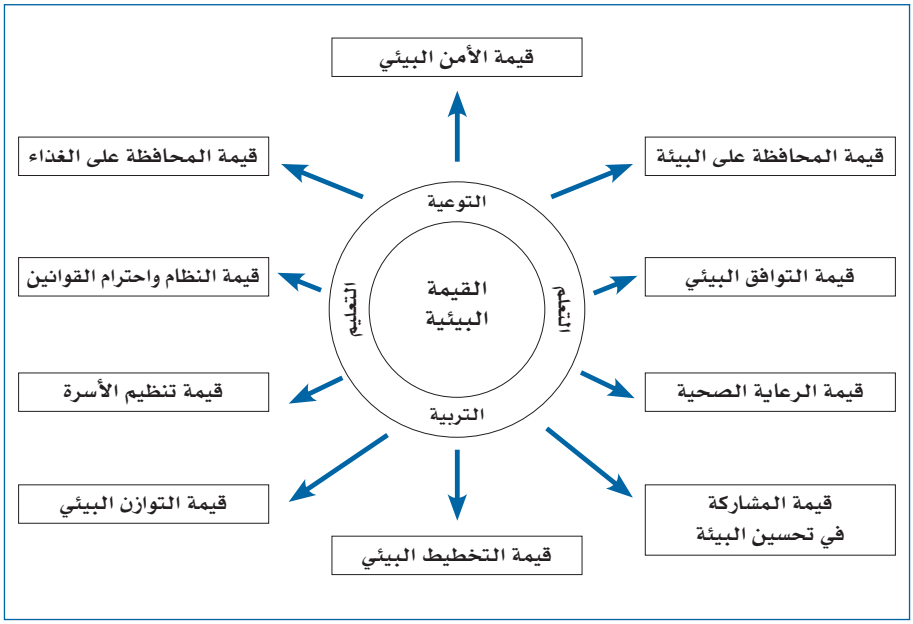

1 ـ صبري دمرداش، (1988)، التربية البيئية، النموذج والتنفيذ والتقويم، دار المعارف، القاهرة، ص 362.

2 ـ عصام الدين هلال، (2007)، التربية البيئية، سلسلة الدراسات التربوية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة.

المنارة للاستشارات

انطلاقاً من القيم الواردة في الشكل، يتبيّن أن القيم البيئية ـ بمختلف مكوناتها المعرفية والمهارية والوجدانيـة ـ بمثابة معايير ومحكات لتنمية السلوك الإيجابي والفعال تجاه البيئة من طرف المتعلم، ولن يتأتى تشرب القيم البيئية والمحافظة عليها من دون إدراك أهميتها في حياة الانسان. الأمر الذي يجعـل من الضروري ترسـيخ التربية على القيـم البيئية في المنظومة التعليمية والتأسـيس لها علمياً وعملياً وسـلوكاً وتمثلها كهدف اجتماعي واقتصادي وأمني بالشـراكة بيـن المؤسسـة التربوية ومختلف الفاعلين السياسيين والاقتصاديين.

إذاً، تسـعى التربيـة البيئية المدرسـية إلى تكوين المتعلم في شخصيته المتكاملة والشمولية الـذي يتمتع ببنـاء **المفاهيـم** البيئيـة وضبط **المعارف** وامتلاك **المهارات** و**الاتجاهات** التي تكون متضمنة فـي المنهاج التعليمـي، لتحقيق أهداف حماية البيئة في وسطه المحلي.

تعرف القيمة البيئية بأنها «الموقف الذي يتخذه الفرد تجاه بيئته من حيث استشعاره مشكلاتها أو عدم استشعاره، ومن ثم استعداده للمساهمة في حل هذه المشكلات وتطوير ظروف البيئة نحو الأفضل، أو عدم استعداده.

2 ـ منهاج المواد الاجتماعية وإشكالية تصريف القيم البيئية:

بطاقة منهاجية لتنمية القيم البيئية:

أنواع القيم البيئية		الكفايات البيئية	أنواع التعليم البيئي
قيم بيئية معرفية	قيمة التوازن البيئي	ـ الإلمام والمعرفة بالمفاهيم البيئية والمبادئ ذات العلاقة بها، ـ معرفة كيفية تأثير نشاط الإنسان على العلاقة بين نوعية الحياة ونوعية البيئة التي يعيش فيها.	التعليم من البيئة: المعارف، المعلومات، الحقائق، واكتشاف المجال البيئي.
	قيمة المحافظة على البيئة		
	قيمة الرعاية الصحية		

المنارة للاستشارات

أنواع القيم البيئية		الكفايات البيئية	أنواع التعليم البيئي
قيم بيئية قانونية/ مهارية	قيمة التخطيط البيئي قيمة الأمن البيئي قيمة النظام البيئي	ـ القدرة على الإلمام بالمهارات الأساسية للاستكشاف الفعلي للقضايا البيئية، واقتراح الحلول المناسبة لها، ومن تم تقويم هذه القضايا والحلول. ـ التأكيد على عملية التجريب، لا سيما أن التلاميذ يتعلمون بالاكتشاف.	التعليم من أجل البيئة: المهارات، المشاركة، السلوك والأفعال الإيجابية
قيم بيئية وجدانية/ سلوكية	قيمة التوعية والتحسيس بأهمية المحافظة على البيئة قيمة إدراك أهمية المحافظة على البيئة قيمة التوافق البيئي	ـ تمثل القيم والاتجاهات الضرورية للتعامل مع البيئة بشكل عقلاني؛ ـ إدراك وظيفية البيئة في حياة المتعلم.	التعليم في البيئة: الفهم، الوعي، الاتجاهات والقيم

بطاقة منهجية لتنمية قيم التربية على المواطنة:

قيم المواطنة	المعايير	المؤشرات	المنهج التعليمي ـ التعلمي
التربية على المواطنة	المعارف	ـ تعرف مفاهيم مرتبطة بحقوق الإنسان (الكرامة، الحرية، المساواة..)	الكفايات: منها كفاية الاختيار، وكفاية الاستقلالية والكفاية المرتبطة بالحياة الاجتماعية

المنارة للاستشارات
ww

قيم المواطنة	المعايير	المؤشرات	المنهج التعليمي ـ التعلمي
التربية على المواطنة	المهارات	ـ اكتساب آليات التفكير المساعدة على التميز بين قيم المواطنة وحقوق الإنسان؛ ـ التمكن من أشكال التواصل مع المحيط؛ ـ التدرب على مهارات منهجية وفكرية: دراسة نص، إنجاز ملف، تنظيم ورشة...	ـ تنمية مهارات إعداد ملفات، وإنجاز ملصقات، تنظيم ورشات، كتابة تقارير لها ارتباط بالحياة العامة للمتعلم؛ ـ التدرب على المبادرة واتخاذ قرارات سليمة مرتبطة بموضوعات المقرر الدراسي (تدبير نزاع، المساهمة في أعمال تضامنية، القيام باختيارات مسؤولة...)
	المواقف	ـ التشبع بقيم المواطنة واتخاذ المواقف الإيجابية	ـ الوعي بدلالة قيم المواطنة المكتسبة في الفصول الدراسية وأساليب ممارستها وتنميتها في الحياة اليومية والعملية؛ ـ ترسيخ الوعي بالحق والواجب والمسؤولية كأساس لممارسة المواطنة.
	التوجه العملي	ـ إدراك العلاقة بين حقوق وواجبات المتعلم وتعلم تطبيقها في الفصل الدراسي والمحيط الخارجي	ـ المشاركة المواطنة: تحويل قيم المواطنة إلى سلوكات ومواقف داخل المحيط المدرسي والأسري وخارجهما.

المنارة للاستشارات

إن بناء شخصية الإنسان بشكلٍ متوازنٍ يتطلب التركيز على العلم والتعليم والتربية لتنمية جميع جوانب النمو لدى الإنسان، فالشخصية الإنسانية تتكون من جانب معرفي (عقلي) وجانب مهاراتي (حركي) وجانب وجداني (انفعالي).

والتعليم الحقيقـــي الفاعل اليوم لم يعد مقتصراً علـــى الجانب المعرفي لتنمية القدرات العقلية فحسب، كصب المعلومات في عقول الطلبة كما يحدث في بلداننـــا العربية، بل يهتم بالجانـــب الوجداني/الانفعالـــي؛ الذي يتضمّن الاهتمام بالعواطف والمشاعر والانفعالات والقيم والجوانب السلوكية للطالب، ومن هنا تميّزت الدول المتقدمة في تعليم أبنائها بالانضباط واحترام الذات واحترام شخصية الآخر، وتقدير قيمة الوقت، ورفع شأن العلم، وأهمية الإنتاج وقيمة النواتج.

لذلك يتحتّم نقل المعارف النظرية التي تزدان بها الكتب الدراسية إلى ممارســـات عملية وســـلوكيات تربوية تدعم قيم المواطنة، مثـــل التربية على الاختيار والاستقلالية والمشاركة الاجتماعية وأنشطة وتطبيقات تنمّي الحوار مع الآخر، والتعبير عن الرأي، والقدرة على النقد وإصدار الأحكام، ومهارات التحليل النقدي، وتطبيقات وممارسات عملية لتنمية الوعي السياسي، ومهارات حياتية تسهم في الحفاظ على البيئة، وتطبيقات عملية على مواجهة مشكلات البيئة.. لترسيخ قيم المواطنة البيئية.

المنارة للاستشارات
ww